

ذوي الإعاقة في القرآن والسنة النبوية

People with disabilities in the Qur'an and the prophetic Sunnah

عبد القادر بهتان	شعيب بوهيدل *
جامعة 8 ماي 1945 – قالمة – الجزائر	جامعة 8 ماي 1945 – قالمة – الجزائر
behtane.abdelkader@univ-guelma.dz	bouhidel.chouaib@univ-guelma.dz

تاريخ القبول: 2024./06./28

تاريخ الاستلام: 2023/06./24

ملخص:

الإسلام منهج الانسانية، وهو أوسع من أن يُحصَر في ثقافة معينة أو دين يُطبق بين الجدران، فما يوجد في الكتاب والسنة بعض الأشكال من العناية بذوي الإعاقة باعتبار أنهم من أهل البلاء، وتحديد حقوقهم، والزجر والتحذير من إيذائهم.

تم في هذه الدراسة عرض ما تضمنه كل من القرآن والسنة في شأن ذوي الإعاقة، فقد وردت آيات تحدد طرائق التعامل معهم، حيث رفع الله عز وجل عنهم الحرج في ما يخص العبادات، كما حث باقي الناس على معاملتهم و الأكل معهم ومخالطتهم، وإعطائهم حقهم في التعليم وتوفير الوقت لهم، ويحث النبي ﷺ على العناية بهم، وإعطائهم حقهم، وإشعارهم بأهميتهم وإسناد أدوار لهم، ومساعدتهم في شؤونهم كإعانة الأعمى في الطريق وإرشاده، أو توليتهم على مناصب تتناسب مع قدراتهم ومؤهلاتهم، فقد كان من ذوي الإعاقة الفاتحون، و علماء الدين والفتوى، وقد بين رسول الله ﷺ أن ذلك من الصدقة، ولاشك أن وصف ثواب مساعدتهم له أثر في تعزيز سلوك الشعور بالآخر، لا لأنهم معاقين، بل لأنهم في وضع إعاقة، والفرق بين بني البشر هو سلوكيات التقوى.

كلمات مفتاحية: القرآن، السنة النبوية، ذوي الإعاقة، أهل الأعذار، أهل البلاء، التقوى

Abstract:

Islam is the approach of humanity, and it is too broad to be confined in a specific culture or religion that is applied between walls. There are some forms of care for people with disabilities in the Qur'an and Sunnah, considering that they are people of calamity, defining their rights, rebuking and warning against harming them.

In this study, the sample is people with disabilities, a reviewing of the Quran and prophetic Sunnah was made, for finding the methods of deals with this people, it is founded that the prophet urges to take care of them, give them their rights, inform them of their importance and assign them to roles, and help them in their affairs such as helping the blind on the road and guiding him.

Keywords: People with disabilities, People of excuses, People of calamity, The Qur'an, the Sunnah of the Prophet, Piety

مقدمة:

لاشكَّ أنَّ الناس يتفاوتون في الصفات والقدرات و الميولات والرغبات، ما يجعل بينهم فروقا على عدة مستويات، كمستوى الذكاء و نوعية الشخصية و الخلفيات الفكرية والآراء والتوجهات، وهذا ما أدَّى إلى الاهتمام بكل فرد على حدى في علم النفس لاسيما علم نفس الفروق الفردية الذي يُعنى بكل هذه الجوانب، ولعل هذا كله بُغية وضع الشخص المناسب في المكان المناسب لقدراته و مؤهلاته، ما ينعكس على المجتمع إيجابيا فتكون النتيجة ارتفاع نسبة الإنتاجية، و تحقيق نمو في مختلف مجالات الحياة دون الإضرار بشخصية و كيان الفرد، فمنذ القدم اهتمت الأديان والحضارات و أفكار البشرية بالكيفيات التي تجعل الإنسان في موقف عادل ويرى نفسه غير مظلوم دائما لكي يتسنى له تقديم ما يُمكنه من إنجازات و خدمات لقومه ومجتمعه، ومن الفئات التي عملت الحضارات السابقة على دمجها أو تهميشها نجد ذوي الإعاقة بمختلف أشكالها، فبسبب أنها حالة من العجز الجسدي أو العقلي يحد من مشاركة الشخص في النشاط الاجتماعي والاقتصادي (Buckingham, 2011) فقد نجد التعامل معهم مختلف عن الباقي، فمثلا نجد في المجتمعات العربية قبل الإسلام عدم الأكل مع ذوي الإعاقة (الطبري، دت، ص219)، لكن بعد مجيئ الإسلام سيكون لهم نظرة أخرى تماما وهو ما سيتوضح لاحقا من خلال هذه المداخلة، والتكريم الذي سيناله ذوي الإعاقة في المجتمع العربي الإسلامي انطلاقا من القرآن الكريم والسنة النبوية، وفي المجتمع الهندي مثلا كان يتم حرمان هذه الفئة من الميراث (Buckingham, 2011)، وفي المجتمع الصيني القديم لاسيما الحقبة الكونفوشيوسية فقد كان للأخلاق أثر في حياة هذا المجتمع ما جعل النظرة لذوي الإعاقة بأنهم أشخاص ينبغي احترامهم كباقي الناس، وينبغي تصنيفهم وفق قدراتهم لاسيما إن كانوا ذوي إعاقة سمعية أو بصرية وهذا ما جعل البعض من الباحثين يرى بأن ذوي هذه الحضارة بالرغم من إنجازاتها وأثرها إلا أنها جعلتهم أدنى منزلة عن باقي الناس بسبب أنَّ المجتمع الصيني يعتبر بأنهم عقاب من الآلهة لاقترافهم جرما أو خطيئة حتى يصل بهم الحد إلى إخفائهم عن الناس خوفا من الفضيحة (Zhang & Rosen, 2018)، في المجتمع اليوناني تم منعهم من ممارسة السياسة كما كان الاسبارطيون يعاقبون كل من لا يقاتل وبالتالي تقع العقوبة على ذوي الإعاقة وإذا استطاع ذوو الإعاقة التغلب عليها في ذلك الوقت و القتال فإنه يتم تكريمهم (Jr, 2015) ولعل هذا من تناقضات هذه الحضارة فتارة تعاقبهم لأنهم لم يقاتلوا و تارة أخرى يكرمونها لأنهم قاتلوا فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اعتراف ضمني بعجزهم، وتجدر الإشارة أنه في حضارات أخرى كان يُعتقد بأن ذوي الإعاقة هم أشخاص ذوو قدرات إلهية و غامضة (Zhang & Rosen, 2018)، بعد عصر النهضة في أوروبا و الغرب كان لذوي الإعاقة نصيب من التكفل، ففي أمريكا و بريطانيا بدأ الاهتمام بهذه الفئة منذ زمن الحروب إذ انتشر البتر في فترة القرن التاسع عشر والعشرين، وكل هذه الحضارات راعت الفروق الفردية و وضعت الشخص المناسب في المكان المناسب وذوي الإعاقة في المكان الذي كانت تراه يناسبهم وفق النظرة الدينية أو الثقافية السائدة آنذاك.

أما ما يخص حضارة المسلمين فقد جاء الإسلام واسعا و شاملا لكل مناحي الحياة، فهو أصلح ما أفسدته آراء البشر ونظرتهم السابقة لاسيما المستمدة من حضارات سالفة أو أديان محرفة، فأساس هذا الدين قبل كل شيء هو تحقيق التوحيد لله عز وجل والعبودية له بما يناسب قدرات كل فرد، قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون (56)﴾ [الذاريات: 56]، كما جاء الإسلام لرفع الحرج في حياة الناس قال عز وجل في سورة الحج: ﴿ما جعل

عليكم في الدين من حرج (78) ﴿ [الحج: 78]، كما اشتمل كتاب الله عز وجل على مبادئ العلوم والمعارف وحث على إعمال العقل في الموجودات، قال تعالى:

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21) ﴾ [الذاريات: 20-21]، كما أكد العلماء المسلمون على مكانة الوحيين في تطوير العلوم كالطب وغيره، إذ نجد ابن قيم الجوزية رحمه الله عبر عن هذا المفهوم بقوله: *لو رزق العبد تضلعاً من كتاب الله وسنة رسوله، وفهماً تاماً في النصوص ولوازمها: لاستغنى بذلك عن كل كلام سواه، ولاستتبط جميع العلوم الصحيحة منه* (ابن قيم الجوزية، 2003، ص 14)، كما كان من مقاصد الإسلام التيسير في شؤون الناس، قال رسول الله ﷺ: *"يسرّوا ولا تعسّروا"* (البخاري، 2001، ص 69)، كما ميز الإسلام بين قدرات الناس فكلف كل منهم وفق طاقته، وإمكانياته، إذ نجد في هذا الصدد قول الله عز وجل: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286) ﴾ [البقرة: 286]، ولا شك أنّ العارف الفاهم بدين الله الإسلام يرى أنه جاء لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد وهذا هو بداية العدل إذا لا ينبغي أن يعبد البشر بعضهم البعض ولا أن يكونوا عبيداً لمتاثيل وأصنام لا تضر و لا تنفع، كما أنه أنقذ البشرية من جور الأديان إلى عدل الإسلام، وهذا ما جعل العديد من الشعوب تقبله دون مقاومة، ومن العدل إنصاف وإحقاق الحق لكل فرد، و يعتبر ذوي الإعاقة والاحتياجات الخاصة من أهم الفئات في المجتمع التي ينبغي عدم تهميشهم و ازدرائهم، بل وإعطائهم ما يُعطى لغيرهم من حقوق، وتكليفهم بما يطبقون مع مراعاة الفروق الفردية بينهم، فكل إعاقة تختلف عن الأخرى من حيث الدرجة والنوع، فهناك إعاقة ذهنية أو سمعية أو بصرية أو حركية وما هذه التصنيفات لأنواع الإعاقة إلا لتسهيل إجراء التقييم لهم و إسناد أعمال تتوافق مع قدراتهم، والتكاليف تكون حسب نوعية الإعاقة وهذا كله بقصد تحقيق العدل مع هذه الفئة، وتسهيل اندماجها في المجتمع والتقليل من الأثر النفسي للإعاقة على نفسية ذوي الإعاقة.

فما هي الإعاقة؟ وما أنواعها؟ وكيف ورد ذكر ذوي الإعاقة في القرآن والسنة النبوية وما الحقوق التي أُعطيت لهم في الإسلام؟

تم وضع الفرضيات التالية:

- أعطى الإسلام حقوقاً للمعاقين كباقي الناس
- رخص الإسلام لذوي الإعاقة برخص لم يرخّص بها لباقي الناس
- يساوي الإسلام بين ذوي الإعاقة وبين غيرهم في تولي المسؤوليات
- جعل الإسلام حقوقاً لذوي الإعاقة على غيرهم (وليس العكس)

وتكمن أهداف الدراسة في الكشف على أسبقية الدين الإسلامي في العناية بهذه الفئة على نحو عادل، وكيف أنه يحدد طرائق مناسبة في التعامل مع ذوي الإعاقة، حيث أن القرآن و السنة النبوية قدما الكثير من التوصيات و التوجيهات

سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة لها علاقة بهذه الفئة و كيفية إعطاءها حقها، والعدل معها، وتقادي ظلمها بأي حال من الأحوال، ومن المؤكد أن النفس التي لا تتأثر بتوصيات علم النفس وعلماء التربية قد تتأثر بما يمليه عليها دينها وعقيدتها، فالدين قد يكون له تأثير أبلغ في الناس من علوم التربية التي تضع ضوابط التعامل مع فئة ذوي الإعاقة وغيرهم من الفئات الموجودة في المجتمع.

ولإثبات الفرضيات المطروحة تم الاعتماد على المنهج الوصفي وذلك من خلال إجراء مراجعة للأدبيات السابقة عند المسلمين، حيث تم البدء بالقرآن ثم السنة النبوية، و كتب العلماء المسلمين وكتاباتهم في ذوي الإعاقة.

1. تعريف الإعاقة:

هي عبارة عن عجز جسدي أو عقلي دائم يتعارض بشكل كبير مع قدرة الفرد على العمل في واحد أو أكثر من أنشطة الحياة الأساسية، مثل الرعاية الذاتية أو المشي أو التواصل أو التفاعل الاجتماعي أو التعبير الجنسي أو التوظيف. على سبيل المثال: الفرد الذي لا يستطيع الرؤية يعاني من إعاقة بصرية (APA, 2015, p. 317) وهي أنواع:

1.1 الإعاقة الذهنية أو العجز الذهني:

تعرفها الجمعية الأمريكية لعلم النفس بأنها: عجز في النمو يتميز بحدود ما بين خفيفة إلى عميقة في الوظيفة الإدراكية، على سبيل المثال: التعلم وحل المشكلات والتفكير والتخطيط، بالإضافة إلى إعاقة في السلوك التكيفي مما يضعف قدرة الفرد على اكتساب المهارات النموذجية للفئة العمرية للفرد كطفل والمهارات الضرورية للعمل المستقل لاحقاً في مرحلة البلوغ. يتطلب تشخيص الإعاقة الذهنية ودرجة شدتها تقيماً عيادياً لمستوى صعوبة الفرد في المهارات المفاهيمية (مثل القراءة والكتابة والحساب) والمهارات الاجتماعية كالتواصل، وتنظيم العاطفة، والمهارات العملية مثل الرعاية الذاتية، والقدرة على إدارة أنشطة الحياة اليومية. (APA, 2015, p. 548)

قد تكون الإعاقة بسبب إصابة في الدماغ أو مرض أو أسباب وراثية وتتميز عادةً بضعف القدرات التعليمية والاجتماعية والمهنية.

2.1. الإعاقة البصرية:

وهي عبارة عن عدم القدرة الجزئية أو الكلية على الرؤية، أو الرؤية بشكل طبيعي، بسبب فقدان جزئي أو كلي أو غياب الرؤية أو ضعف البصر. وتشمل الإعاقة ضعف البصر إلى غاية العمى الكلي. يمكن أن تنتج عن مرض أو اضطراب تنكسي على سبيل المثال، إعتام عدسة العين، الجلوكوما، اعتلال الشبكية السكري، الضمور البقعي، أو بسبب الصدمات، أو العيوب الخلقية على سبيل المثال، الأخطاء الانكسارية، انحراف النظر (APA, 2015, p. 1143)

3.1. الإعاقة السمعية:

هي عبارة عن فقدان في السمع بمعدل 35 إلى 70 ديسيبل أي (يكون له بعض البقايا السمعية)، مع عجز لغوي تعبيرى واستقبالي و عجز صوتي، يتميز التصاوت بمعدل كلام بطيء، صدى مشوه، وتحكم غير كاف في التنفس، وعدم الانتباه إلى الإشارات السمعية (Landis, 2004, p. 111)

1.4. الإعاقة الحركية:

وهي عبارة عن عجز يكون على مستوى الحركة، حيث يظهر في شكل عدم قدرة على أداء بعض الوظائف بالشكل الصحيح كالمشي أو غيره

2 . ذوي الإعاقة في القرآن والسنة النبوية:

1.2. ذوي الإعاقة في القرآن:

لا بد من التبيين بأن مصطلح الإعاقة أو توصيفها كالقول بالإعاقة الذهنية أو التخلف العقلي أو الإعاقة البصرية وغيرها من أشكال الإعاقة لم ترد بصريح اللفظ في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، فهذا الاصطلاح حديث بحدثة علم النفس، ولكن يبقى للإعاقة مدلولات تدل عليها أو تتضمنها في القرآن أو في السنة النبوية، فذوو الإعاقة هم أهل بلاء، وما جاء في القرآن الكريم بخصوص أهل البلاء قوله عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ دَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالْأَشْرِّ وَالْأَخْيَرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35)﴾ [الأنبياء: 35]

أي نختبركم أيها الناس بالشر وهو الشدة نبتليكم بها، وبالخير وهو الرخاء والسعة والعافية فنفتكم به (الطبري، دت، ص 439)، فالله عز وجل بين لعباده بأنه سيبلوهم بالشر كالإعاقة والمرض والفقر وغيره، وسيبلوهم بالخير كالغنى والأولاد وكل هذا هو اختبار منه لهم، ليتبين حال عباده هل يصبرون ويشكرون أم يجحدون ويفجرون. قال السعدي رحمه الله في كتابه الذي بعنوان: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ما نصه:

"وهذا يشمل سائر نفوس الخلائق -أي الموت-، وإن هذا كأس لا بد من شربه وإن طال بالعبد المدى، وعمر سنين، ولكن الله تعالى أوجد عباده في الدنيا، وأمرهم، ونهاهم، وابتلاهم بالخير والشر، بالغنى والفقر، والعز والذل والحياة والموت، فتنة منه تعالى ليبلوهم أيهم أحسن عملا ومن يفتتن عند مواقع الفتن ومن ينجو، {وَالَّذِينَ تَرْجَعُونَ} فنجازيكم بأعمالكم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر" (السعدي، 2000، ص 523)

وقال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)﴾ [البقرة: 155-157]

في هذه الآية ذكر الله عز وجل البلاء مع التأكيد بلام التأكيد في اللغة العربية، للدلالة على أن البلاء واقع بالبشر لا محالة، وأنه اختبار للصادقين من المؤمنين ولصبرهم على هذا البلاء، ومن البلاء إصابة الشخص بإعاقة مهما كان نوعها حسية أو حركية أو عقلية، قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية ما نصه:

أخبرنا تعالى أنه يبتلي عباده، أي يختبرهم ويمتحنهم كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلُّوا أَخْبَارَكُمْ (31)﴾ [محمد: 31] فتارة بالسراء وتارة بالضراء من خوف وجوع كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَامَ إِلَهُ لِبَاسِ الْجُوعِ

وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112) ﴿ [النحل: 112] فَإِنَّ الْجَائِعِ وَالْخَائِفِ كُلَّ مِنْهُمَا يَظْهَرُ نَدْمٌ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا قَالَ لِيَأْسُ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ. وَقَالَ هَاهُنَا: بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ أَيْ بِقَلِيلٍ مِنْ ذَلِكَ وَتَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ أَيْ ذَهَابُ بَعْضِهَا وَالْأَنْفُسِ كَمَوْتِ الْأَصْحَابِ وَالْأَقَارِبِ وَالْأَحْبَابِ وَالشَّمَرَاتِ أَيْ لَا تُعْلَلُ الْحِدَائِقُ وَالْمَزَارِعُ كَعَادَتِهَا. قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: فَكَانَتْ بَعْضُ النَّخِيلِ لَا تُثْمِرُ غَيْرَ وَاحِدَةٍ، وَكُلُّ هَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا يَحْتَسِرُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ فَمَنْ صَبَرَ أَثَابَهُ وَمَنْ قَنَطَ أَحَلَّ بِهِ عِقَابَهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ وَقَدْ حَكَى بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْخَوْفِ هَاهُنَا خَوْفُ اللَّهِ، وَبِالْجُوعِ صِيَامُ رَمَضَانَ، وَبِنَقْصِ الْأَمْوَالِ الزَّكَاةَ، وَالْأَنْفُسِ الْأَمْرَاضَ، وَالشَّمَرَاتِ الْأَوْلَادَ، وَفِي هَذَا نَظْرٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ (ابن كثير، 1998، ص 338)

ومن الآيات الخاصة بأهل البلاء عموماً ننقل إلى الآيات الخاصة بأهل المرض والإعاقة خصوصاً، فنقول وبالله التوفيق، أَنَّ اللَّهَ جَلَّ فِي عِلَاةِ ذِكْرِ الْمَكْفُوفِينَ بِصَرِيحِ اللَّفْظِ فِي سُورَةِ عَبَسَ، قَالَ تَعَالَى:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2)﴾ [عَبَسَ: 1-2]

يقول ابن الجوزي رحمه الله في كتابه "زاد المسير في علم التفسير" بخصوص الآيتين ما يلي:

قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ يوماً يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، وأمياً وأبياً ابني خلف، ويدعوهم إلى الله تعالى، ويرجو إسلامهم، فجاء ابن أم مكتوم الأعمى، فقال: علمني يا رسول الله مما علمك الله، وجعل يناديه، ويكرر النداء، ولا يدري أنه مشغول بكلام غيره حتى ظهرت الكراهية في وجهه ﷺ لقطع كلامه، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبل على القوم يكلمهم، فنزلت هذه الآيات، فكان رسول الله ﷺ يكرمه بعد ذلك، ويقول: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي" (ابن الجوزي، 2001، ص 399)

فالملاحظ من الآية ومن تفسير الصحابة أن الله عز وجل جعل للمكفوف مكانة كبقية الناس، وأنه كان ينبغي إعطاءه الوقت اللازم ليتعرف على دينه فلعله يؤمن أو يدكر، أو ينتفع بما قد يعلمه إياه النبي ﷺ، وهذا ما يجعلنا نفكر بأن هذه الفئة وهم ذوي الإعاقة ينبغي إعطاؤهم حقهم في التعليم والتوجيه والعناية والدعم والإجابة عن تساؤلاتهم، وعدم الإعراض عنهم، وإشعارهم بأهميتهم وأنهم متساوون مع باقي الناس، ولا فرق بينهم وبين الآخرين، بل إعطاؤهم حقوقاً وامتيازات أكثر من الغير تعويضا للنقص الذي عندهم، ويجب وضع نظم وقواعد تضبط تعامل باقي الناس معهم في مختلف المجالات، خاصة مجال التربية والتعليم، فهو الذي يبيّن شخصيتهم ويجعل منهم إما فاعلين في المجتمع بالرغم من إعاقاتهم، أو غير فاعلين بسبب سوء التعامل معهم وتهميشهم.

قال القاري رحمه الله في كتابه تسلية الأعمى عن بلية العمى: "ومن حكمته - سبحانه وتعالى - أنه قد ابتلى بعض عباده، فسلب منهم بعض تلك النعم، فأخذ من هذا نعمة السمع، ومن ذلك نعمة النطق، ومن آخر نعمة القدرة على المشي، وهكذا

وهذا كله من رحمته بعبده، فهو إنما فعل ذلك، ليشبّهه ويجزيه الجزاء الأوفى والأكمل يوم القيامة، وقد قال - ﷺ - "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإذا أحب الله قوماً ابتلاهم" (القاري، 1993، ص 3)

في سورة البقرة ورد ذكر لصفات بعض الأشخاص في آية الدين ومنهم ما يفهم بأنه ذو الإعاقة ومن ذوي الاحتياجات الخاصة، ففي سورة البقرة نجد قوله عز وجل في الآية 282: ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يملأ هو فليملأ وليه بالعدل﴾، في الآية الكريمة وردت ألفاظ كضعيف وتعني إما صغيراً في السن أو جاهلاً، أما

بالنسبة لكلمة ضعيف ولا يستطيع أن يملّ في الآية فهي تنفي الاستطاعة عن الشخص وتعني في الآية الكريمة من لا يستطيع النطق أو كما رأى الطبري بأن الموصوف بالضعف هو العاجز عن إملاؤه، وإن كان شديداً رشيداً، إما لعيّ لسانه أو خرس به (الطبري، دت، ص 57) أي أن المدلول قد يشمل من هم من ذوي الإعاقة، كما قد يتضمن هذا المعنى كل أصناف العجز لسبب معلوم أو غير معلوم وبالتالي تحتوي في معناها ذوي الإعاقة مهما اختلفت إعاقاتهم ومهما كانت درجاتها، وقد أسمى علماء الشريعة الإسلامية فئة ذوي الإعاقة بأنهم أهل أعمار نظراً لأنهم معذورون شرعاً فلا جناح عليهم فيما عجزوا عن القيام به من فروض وواجبات شرعية، وما دام التمييز وقع بوحى من رب العالمين، فلا بد على البشر الأخذ بهذا التمييز في الحسبان و البناء عليه لاحقاً في كل قانون يصدر مخصصاً لفئة ذوي الإعاقة، لأنهم ليسوا كغيرهم، بل ويظهر من خلال الآية في سورة البقرة تقديم المساعدة لهم أو القيام بالمهام العاجزون عن القيام بها بدلاً عنهم، وهذا من الحث على التكفل بهم وتقديم العون لهم.

الآية الثانية وهي قوله جل في علاه: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَْعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (17)﴾ [الفتح: 17]

في هذه الآية يذكر الله عز وجل ثلاث حالات لأشخاص لا حرج عليهم في عدم القيام بالواجبات الشرعية، وهذه الآية خاصة كانت فيمن هم معذورون في التخلف عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في كتابه تفسير القرآن العظيم ما نصه: "ذكر تعالى الأعذار في ترك الجهاد، فمنها لازم كالعَمَى والعَرَج المستمر، وعارض كالمريض الذي يطراً أياماً ثم يزول" (الصابوني، 1981، ص 345)، الظاهر من خلال الآية التي في سورة الفتح أنها تضمنت ذكر لأصحاب الإعاقة البصرية و الإعاقة الحركية، وأنهم غير مؤاخذون في عدم أدائهم للواجبات الشرعية، وهذا من العدل معهم لقصور قدراتهم عن باقي الناس، وعدم امتلاكهم مؤهلات كباقي الأفراد، هنا تتجلى حكمة الله عز وجل في استثناء هؤلاء من التكليف بالواجبات كلها، لأنهم لا قدرة لهم بها، وهذا من تمام عدله بعباده عز وجل.

كما نذكر آية شبيهة بالآية السالفة الذكر وهي من سورة النور الآية 61 وهي قوله عز وجل:

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: 61]

في هذه الآية ذكر الله عز وجل الأعمى والأعرج والمريض، وكل هذه الأصناف قد تكون ضمن الإعاقة، إذ قد نجد من ليس بأعرج ولا أعمى ولكنه مريض ويعتبر معاقاً لأنه به إعاقة ذهنية أو عقلية، قال الشافعي رحمه الله في معنى هذه الآية: "قيل الأعرج: المقعد، والأغلب: أنه الأعرج في الرجل الواحد، وقيل: نزلت في أن لا حرج أن لا يجاهدوا" (الشافعي، 2006، ص 1150)، وفي هذا تأكيد آخر على أنهم أهل عذر وغير محاسبون في ما لم يقوموا به من واجبات وتكاليف شرعية.

وقد ذكر الطبري رحمه الله في كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن ما نصه:

"حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله: (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ) إلى آخر الآية، كان أهل المدينة قبل أن يُبعث النبي ﷺ لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا مريض، فقال بعضهم: إنما كان بهم التقذر والتقرُّز. وقال بعضهم: المريض لا يستوفي الطعام، كما يستوفي الصحيح والأعرج المنحبس لا يستطيع المزاحمة على الطعام، والأعمى لا يبصر طيب الطعام، فأنزل الله (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) حرج في مؤاكلة المريض والأعمى والأعرج، فمعنى الكلام على تأويل هؤلاء: ليس عليكم أيها الناس في الأعمى حرج أن تأكلوا منه ومعه، ولا في الأعرج حرج، ولا في المريض حرج" (الطبري، دت، ص 219)، ومن خلال هذا القول، يظهر جليا جزء من طريقة معاملة ذوي الإعاقة في الجاهلية، وأن الناس كانوا لا يأكلون معهم لأسباب قد تكون وقد لا تكون ذكرها الطبري رحمه الله كالتقرُّز منهم أو القذارة التي تكون بهم، أو عكس ذلك، فقد كان الناس لا يأكلون معهم لأن ذوي الإعاقة عاجزون عن القدرة على الأكل كما يأكل باقي الناس، فلا تكون لهم قسمة عادلة في ذلك وهذا من الظلم لهم، فالأعمى قد لا يبصر الطعام بأنواعه، والأعرج قد لا يقدر على المزاحمة، وهذه جملة أسباب تجعل ذوي الإعاقة ضحية ظلم غيرهم، وبعد بعثة النبي ﷺ كان المسلمون لا يأكلون معهم فأنزل الله الآية السابقة الذكر فنال ذوي الإعاقة حقهم في مخالطة غيرهم من الناس و الأكل معهم، كما يسمح هذا للآخرين بتجاوز النظرة السلبية تجاههم والعمل على احتوائهم في المجتمع بعيدا عن نظرة الجاهلية، ومن جهة العلماء الذين قالوا بأن الآية جاءت لدعوة الناس المعافين في أبدانهم على الأكل مع ذوي الإعاقة وعدم الخشية من أخذ حقهم أو ظلمهم لإجازة ذلك بكتاب الله عز وجل، فما يُفهم هنا، أن فريقا من العلماء رأى أن عدم مخالطة ذوي الإعاقة هو بسبب التقزز منهم و أحيانا تكون بهم قذارات، و فريق آخر رأى بأن عدم الأكل معهم كان بسبب الخوف من ظلمهم لعجزهم على التمتع بالطعام والأكل بأريحية لأنه فيهم الأعمى أو الأعرج أو مبتور اليد، فلا يقدر على الأكل مثل غيره الذين عافاهم الله في أبدانهم، فالسبب سيكون للمعافين بلا شك في الطعام والشراب و غير ذلك.

كما ميز الله عز وجل في كتابه العزيز بين فئة ذوي الإعاقة وغيرهم، فمن الآيات الدالة على ضرورة التفريق بين أصحاب الإعاقة وذوي الاحتياجات الخاصة وبين غيرهم المعافين قوله عز وجل ﴿مَثَلُ الْفَرِيِّنِ كَالأَعْمَى وَالأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (هود: 24) [هود: 24]

هنا في هذه الآية يُلاحظ أن الله عز وجل ميِّز بين من هو أعمى وأصم وكلاهما تُعدان إعاقة للشخص، وبين من يُبصر ويسمع، ثم يُتبع الله ذلك بقول هل يستويان أي أنهما لا يستويان تماما وبينهما فرق، ولعل الآية تقودنا إلى إدراك الفرق الكبير بين كل فريق، والآية اشتملت على أنواع الإعاقة المتمثلة في الصم والمكفوفين، وأن فقدان حاسة السمع أو حاسة البصر ينجر عنها اختلاف واضح عن يتمتعون بسلامة كلا الحاستين.

يمكن أن نضيف آيات أخرى دالة على التيسير للمسلمين عموما ولأصحاب الأعدار وأنه عليهم أداء ما باستطاعتهم دون خوف نظرا لأن الله جل في علاه رخص لهم في ذلك ففي قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (16) [التغابن: 16]

يقول السعدي في تفسير هذه الآية: "يأمر تعالى بتقواه، التي هي امثال أوامره واجتتاب نواهيه، ويقيد ذلك بالاستطاعة والقدرة، فهذه الآية، تدل على أن كل واجب عجز عنه العبد، أنه يسقط عنه، وأنه إذا قدر على بعض الأمور، وعجز

عن بعضه، فإنه يأتي بما يقدر عليه، ويسقط عنه ما يعجز عنه دون حرج في ذلك، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم". (السعدي، 2000، ص 828)

وهذا ينطبق على الناس المعافين و ذوي الإعاقة على حد سواء، فإذا كان المعافى يُعذر فيما لم يستطع القيام به، فذوي الأعدار وذوي الإعاقة هم أولى بالعدر في ذلك.

وقوله عزوجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْكَافِرِينَ (286)﴾ [البقرة: 286]

الملاحظ أنّ الآية بدأت بأنّ الله لا يكلف نفساً فوق طاقتها، وإنما التكليف مرتبط بما تطيقه النفس وما في وسعها القيام به، ولعل هذا يشمل جميع الناس كما يشمل كذلك الفئات المعاقّة التي لا قدرة لها على أداء الواجبات الشرعية إلا في حدود ما تقدر عليه، ولعل هذه آخر آية نذكرها في هذه المداخلة بخصوص أهل الأعدار و ذوي الإعاقة ليتم الانتقال إلى السنة النبوية.

1.3. ذوي الإعاقة في السنة النبوية:

في السنة نجد الكثير من الأحاديث التي تناولت أهل البلاء وأهل الأعدار، والتي حث فيها رسول الله ﷺ على الصبر واحتساب الأجر عن الضراء وشكر النعم عند السراء، فالبلاء قد يكون بخير وشر، ليختبر المسلم هل يصبر على هذا البلاء أم يكفر ويسخط، وكذلك الذين ابتلاهم الله عز وجل بالخير فهذا اختبار لهم هل يشكرون أم يجحدون نعم الله عليهم، وهل يبذلونها في المعروف والخير ونفع الناس أم يجعلونها في سخط الله وفيما لا يرضيه.

قال رسول الله ﷺ:

«يَوَدُّ أَهْلُ الْعَاقِبَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِصَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ» (الترمذي، 1975، ص 2402)

في هذا الحديث يبين رسول الله ﷺ بأنّ الناس الذي لا يعانون من أي مرض أو إعاقة أو إصابة سواء كانت جسمية أو نفسية يودون لو أنّ جلودهم تم قرصها أي تقطيعها بأدوات قطع أو ما شابه، وهذا لعظم الأجر الذين يرونه حظاً ناله أهل البلاء في الآخرة، وهذا جزاء لهم لصبرهم في دنياهم على ما نالهم من معاناة وإعاقة وقصور في القدرة عن أداء مختلف الأشياء والأمور التي يقدر غيرهم على أدائها، وإذا تأملنا في هذا الحديث ندرك أمور كثيرة منها: أنّ البلاء فضل من الله عز وجل على عبده وإن كان فيه معاناة للعبد إلا أنّ ذلك خير له إن صبر ولذلك قال رسول ﷺ «عَجَبٌ لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ» (الزهري، 1998، ص 368)، وهذا فيه أعظم المواسة و بث للروح الإيجابية في نفوس أهل البلاء وذوي الإعاقة، ويعتبر هذا تبشيراً لهم بعاقبة ما يعانون حيث سيكون الجزاء لهم عظيماً، ولعل أعظم الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون، وهذا ما يجعل ذوي الإعاقة في صفوف الصالحين إن هم صبروا وقاموا بما يستطيعون من الطاعات والقربات على الوجه الذي هم مأمورون به شرعاً.

كما جاء في السنة النبوية قوله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ» (مالك، 1985، ص 7)

أي أنّ الله عز وجل إذا أراد الخير بعبده فإنه يصيبه ببعض الأمراض أو العاهات أو الإعاقات حتى يرفع من درجته عنده

وعن عبد الله رضي الله عنه قال: أُتِيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ، وَهُوَ يُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ بَأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «أَجَلٌ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى إِلَّا حَاتَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ، كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ» (البخاري، 2001، ص 5647)

في هذا الحديث أعطى النبي ﷺ مثالا بأن كل مرض أو عجز أو إعاقة أو ما شابه ذلك فإنه يحطّ الخطايا عن المصاب وتسقط عنه كما تسقط أوراق الشجر، وذوي الإعاقة مبتلون بإعاقاتهم فإن كانوا يعانون منها في الدنيا فإنها قد تكون سببا في دخولهم الجنة، ونيلهم أعلى المراتب لأنها تحط عنهم خطاياهم.

وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا» (البخاري، 2001، ص 5640)

عن أبي سعيد الخدري، عن أبي هريرة: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَدَى وَلَا عَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» (البخاري، 2001، ص 5641)

في هذا الحديث والذي قبله بيّن ﷺ مكانة المبتلى وثوابه عند ربه عز وجل، وأنه كلما أصيب كلما نال أجراً، وهذا ينطبق على ذوي الإعاقة، وإعاقاتهم مستمرة ودائمة غالباً، ما يجعلهم ينالون ثواباً عظيماً عند الله عز وجل، كما قد يصحب الإعاقة أحياناً الهم والحزن لعدة أسباب منها: نظرة المجتمع، أو السخرية أو الشعور بالنقص، وهذا كله خير لذوي الإعاقة إذا صبروا، وفي آخر الحديث يذكر النبي ﷺ الشوكة والتي هي من أقل الأشياء التي قد تضر بالعبد، إلا أنه ينال بها كذلك الأجر، وهذا يعطينا التصور بأنه إذا كانت الشوكة مع ما لها من أثر خفيف في إحداث الضرر للإنسان، فكيف هو الحال مع من فقد يده، أو رجله، أو كان كفيفاً لا يبصر، أو أصماً لا يسمع، أو أخرساً أو أبكماً، أو أعرجاً أو غير ذلك من أشكال الإعاقة، لاشك أنّ الأجر سيكون على قدر المشقة.

وقال ﷺ: «ابْغُؤِنِي الضُّعْفَاءَ، فَإِنَّمَا تُرْزُقُونَ وَتُصْرَفُونَ بَعْضُفَانِكُمْ» (أبو داود، دت، ص 2594)

وقال ﷺ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بضعيفها، بدَعْوَتِهِمْ وصالَتِهِمْ وإِخْلَاصِهِمْ» (النسائي، 1986، ص 3178)

ولاشك في أنّ المتأمل في هذه الأحاديث يلاحظ بأنها طمأنة و جبر لخاطر هذه الفئة الضعيفة وهم الفقراء وذوي الإعاقة وما شابههم، فمن يقرأ هذه الأحاديث يجد في نفسه فرحاً بما ينتظره من ثواب عند ربه، بل والمتأمل في قوله ﷺ بدَعْوَتِهِمْ وصالَتِهِمْ وإِخْلَاصِهِمْ يعلم بأنّ هذه الفئة لها مكانة عند ربها، وأنّ دعاءهم و صلاتهم قد يرجوه من لا يعاني من إعاقة فيكون في حاجة إلى هذه الفئة وهم ذوي الإعاقة نظراً لما فضلهم به الله عز وجل من استجابة الدعاء وإخلاص النوايا، وبهذا فهم أفضل من كثير من الناس الذين عافاهم الله من الأمراض والإعاقات وغيرها.

ومن مظاهر العناية بذوي الإعاقة زمن النبي ﷺ هو المكانة التي أعطاهها رسول الله ﷺ لابن أم مكتوم، ذكر ابن حبان رحمه الله في كتابه الذي بعنوان "صحيح ابن حبان" ما نصه:

أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ سُهَيْبَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أُمِّيَّةُ بْنُ بَسْطَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَبِيبُ الْمَعْلَمِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اسْتَخْلَفَ بِنَ أُمِّ مَكْتُومٍ عَلَى الْمَدِينَةِ بِصَلِيِّ بِالنَّاسِ " (ابن حبان، 1988، ص 2134)

وقد كان ابن أم مكتوم رضي الله عنه كفيفا فاقد للبصر، وكان يؤم الناس، ولعل هذا من التكريم له، والإحسان إليه وإشعاره بأهميته بين الصحابة، حيث أنه بالرغم من إعاقته البصرية إلا أنه كان يؤم الصحابة رضي الله عنهم الذين هم أعلم منه، فكان ذلك إكراماً له من رسول الله ﷺ بإمامته لهم، كما أنه نزلت آيات في ابن أم مكتوم منها قوله عز وجل: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (95)﴾ [النساء: 95]

ذكر ابن حبان رحمه الله في صحيحه بأن هذه الآية نزلت بالرخصة لأجل رجل أعمى وهو الصحابي عبد الله ابن أم مكتوم، حيث ذكر ابن حبان ما نصه: أخبرنا ابن قتيبة، قال: حدثنا ابن أبي السري، قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن قبيصة بن نؤيب عن زيد بن ثابت قال: "كُنْتُ أَكْتُبُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "اَكْتُبْ" {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}، قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَحِبُّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَبِي مِنَ الرَّمَاةِ مَا تَرَى قَدْ ذَهَبَ بِصُرِي، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: فَتَقَلَّتْ فَخِذُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ فَخِزِي حَتَّى حَشِيْتُ أَنْ تَرَفُّضَ، فَلَمَّا سُرِّي عَنْهُ، قَالَ: "اَكْتُبْ" {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [النساء: 95] (ابن حبان، 1988، ص 4713) وفي رواية الطبراني أن الرجل الكفيف قال للنبي ﷺ يا رسول الله أما لي رخصة؟ قال: «لَا» قال ابن أم مكتوم: اللهم إني ضرير فرخص لي فأنزل الله {غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ} (الطبراني، 1994، ص 5053)

من خلال ما ذكره ابن حبان يتضح بأن الله عزوجل أنزل على رسوله ﷺ الآية لأجل هذا المكفوف الذي جاء إليه واصفا حالته إليه وشاكيا عدم قدرته على الجهاد في سبيل الله بسبب ذهاب بصره، فجاءت الآية مرخصة له لأنه من أولي الضرر وأهل الأعدار فلا قدرة له بالقيام بهذا الواجب الشرعي وبالتالي يسقط عنه الوجوب، وفي مقابل عذره عن القيام ببعض الواجبات الشرعية، فقد كان النبي ﷺ يُكرمه بإمامة المصلين وهي من أجل الأعمال في الإسلام.

كما كان من جزاء ذوي الإعاقة البصرية عن صبرهم عليها و الاحتساب عند الله عز وجل الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه -يريد عينيه- ثم صبر، عوضته منهما الجنة» (القاري، 1993، ص 28) ولعل من الأدعية الماثورة التي علمنا إياها رسول الله ﷺ هي أنكار طرفي النهار التي فيها دعاء الله عز وجل بالعافية في البدن، والعافية في السمع و البصر وذلك بقوله ﷺ "اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري" (الألباني، 2011، ص 7) والملاحظ في هذا الذكر أنه جمع أنواع الحواس الثلاث الرئيسية عند الفرد، ولعل دعاء النبي ﷺ يدل على مكانتها وقيمتها عند الفرد، وأن فقدانها قد يكون سببا لمعاناة كبيرة و صعوبات يواجهها الإنسان في حياته، فكان الدعاء بحفظها و العافية حفاظا عليها لأنها نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى، وفقدانها قد ينجس عنه معاناة كبيرة لا يدري الإنسان هل يصبر أم لا، لذلك حث النبي ﷺ على سؤال الله العافية، وعلى شكر الله عز وجل على هذه

النعمة لا سيما عند رؤية أهل البلاء وقول «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني عليك، وعلى كثير من عباده تفضيلاً» (الألباني، 2011، ص 104)

ومن أعمال البر والمعروف التي حث عليها رسول الله ﷺ المسلم أن يقوم بها وينال أجرها إرشاد الرجل الكفيف في أرض الضلال، وذلك في قوله ﷺ: «بَصْرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيِّءِ الْبَصْرُ لَكَ صَدَقَةٌ» (ابن حبان، 1988، ص 287)

ففي الحديث تحبيب وحث للنفوس على إرشاد ومعاونة الكفيف في تنقله أو حاجاته، فمن يساعده يكون بمنزلة البصير له، وقد أخبر رسول الله ﷺ بأن هذا من الصدقة ومن أعمال البر، وهذا من حسن التكفل بذوي الإعاقة البصرية، والإحسان إليهم ومرافقتهم، ما يُشعرهم بالسند الدائم من الغير وهذا يزيل حالة الشعور بالنقص عندهم، لاسيما وأنهم يجدون أناسا يتسابقون لتقديم العون لهم، وهذا يزيل عنهم الشعور بأنهم عبء على الغير فتخفّ شدة الشعور بالتبعية لديهم، وأن ثواب المعاون لهم سيناله في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يُعد هذا من أعمال البر والخير و من قمة الإنسانية و الرحمة بالضعيف، وفي الآخرة فكل ما يتم تقديمه لهذه الفئة فهو صدقة، والصدقة من أعظم الأعمال.

وبالتالي يمكن القول بأن ذوي الإعاقة في الكتاب والسنة هم وغير ذوي الإعاقة سواء في الحقوق، أما الواجبات فتُسند لهم وفق مقدورهم ويُعذرون فيما عجزوا عن القيام به، وهذا من فضل الله عزو جل عليهم ورحمته بهم وكرمه على عباده الضعفاء، ومنه يتم إثبات فرضيات الدراسة، حيث أعطى الإسلام حقوقا للمعاقين كباقي الناس، و رخص لهم برخص لم يرخّص بها لباقي الناس، وساوى بينهم وبين غيرهم في تولي المسؤوليات، وأعطاهم حقوقا قد تتجاوز ما أُعطي لباقي الناس المعاقين والذين لا يعانون من عاهات جسدية أو إعاقات.

خاتمة:

من كل ما سبق، يتضح بأن القرآن والسنة النبوية أشارا وتناولوا ذوي الإعاقة، وأنهم من أهل البلاء وأهل الأعدار الذي لا يؤخذون فيما لم يقوموا به من واجبات شرعية، بل وأعطى لهم الله عز وجل مكانة كباقي الناس واتضح ذلك من سورة عَبَسَ، إذ نزلت بسبب إعراض رسول الله ﷺ بوجهه عن ابن أم مكتوم، وكان كفيفا كما مر بنا، ولكن بعد ذلك أصبح رسول الله ﷺ يُكرمه، ويبسط له رداءه إذا جاءه إكراما له، كما استخلفه على المدينة بعد خروجه إلى الغزو مرتين، وكلفه بالتأذين (المقدسي، 2009، ص 283)، وكان إماما يصلي بالناس، كما رفع الله الحرج عن الأعمى و الأعرج في عدة آيات مرت بنا، وهذا يطمئن نفوسهم بأنهم معذورون في أدائهم لعباداتهم على الوجه الذي يقدرون عليه بلا حرج، وحث النبي ﷺ الناس المعافين على مساعدة المكفوفين، و أن يرشدوهم في الطريق، بل وأن الإساءة إليهم قد تعرض المسيء للعن كما قال رسول الله ﷺ: «لعن الله من كَمَه الأعمى عن السبيل» (الألباني، 1995، ص 3462)، أي أضله عن الطريق فلربما وقع أو اصطدم بجدار، وهذا من الترهيب لفاعل هذا الأمر أو فاعل ما يشبه هذا الفعل.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ ذوي الإعاقة يمكن لهم الإبداع في بعض المجالات، فمثلا في التحليل النفسي يرى ألفرد أدلر مؤسس ما يسمى بعلم النفس الفردي بأن الفرد الذي لديه شعور بالنقص يجعله يبحث عن تعويض وهذا يدفعه إلى الرغبة في تحقيق التفوق وتقديم إنجازات كمحاولة لتأكيد الذات وللتخلص من ذلك الشعور وتعويض النقص (الهنداوي والزغول، 2002، ص 33)، أي تعويض النقص العضوي بإنجاز مادي أو معنوي، وعلى هذا الأساس قام علم النفس الفردي، كما أنّ الدراسات تشير إلى أنّ ذوي الإعاقة قد تكون لهم إنجازات وإبداعات لاسيما وأنهم في بعض الأحيان لا تناسبهم أدوات اخترعها غيرهم، فيحاولون هم إيجاد ما يناسبهم فهم أدرى بحالتهم، ففي دراسة بعنوان "ذوي الإعاقة كمبتكرين لمنتجات"، وجد الباحثون بأن ذوي الإعاقة يمكن أن يكونوا مصدرا مهما للابتكار (Conradie et al., 2018) لاسيما وأنهم أدرى بأحوالهم من غيرهم فيما يتعلق بالمنتجات الخاصة بذوي الإعاقة كالأيدي الاصطناعية وغيرها، وختاما نذكر بعض ذوي الإعاقة الذين كان لهم أثر ودور فاعل ومؤثر في التاريخ الإسلامي، فمثلا نجد بأن العديد من الشخصيات كانت تعاني عاهات ولكن كانوا أصحاب حكمٍ و رأيٍ وفتوى وإمامة فمنهم نذكر:

- الأَعْرَجُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمَزٍ الْمَدَنِيُّ وصفه الذهبي بأنه إمام وحافظ وحجة ومقرئ (الذهبي، 1985، 69)
- عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ أَسْلَمَ الْقُرَشِيُّ مَوْلَاهُمْ، وكان إماماً، ولُقِّبَ بشيخ الإسلام، ومُفتي الحرم، وصفه أهل العلم في زمانه بأنه كان ثقة فقيها عالما كثير الحديث، وقد كان أعور العين أعرج، وفقد بصره لاحقا، وفقد يده مع ابن الزبير (الذهبي، 1985، 80)
- النقي الأعمى وقد كان إماماً، ومُفتٍ (الذهبي، 1985، 422)
- موسى بن نصير وهو فاتح الأندلس قال فيه الذهبي رحمه الله: "وَكَانَ أَعْرَجًا، مَهْيِبًا، ذَا رَأْيٍ وَحَزْمٍ" (الذهبي، 1985، 496)

- مَوْدُودُ بْنُ زَيْكِيِّ بْنِ أَقْسَنْفَرِ التُّرْكِيِّ، فقد كان سلطان الموصل، وكان أعرجاً (الذهبي، 1985، 521)

لعل ما ذكر هو قليل من كثير، والأهم هو إنجازات هذه الفئة التي بلغت درجة العظمة في التاريخ، ولا شك أنه إذا تم البدء في هذه المداخلة بالبلاء فسيتم الانتهاء به، باعتباره يحتوي الإعاقة بمختلف أشكالها في معانيه، ولأنه مفتاح بلوغ

الكثيرين إلى المعالي، ولا شك أن في قصص الأنبياء عبرة لأهل العقول والحكمة، فالنبي أيوب عليه السلام أبطل في جسده فصبر، ولم يجد من يبقى معه إلا زوجته.

وروي أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلاً صالحاً، ورعاً، وكان يسأل الشافعي رحمه الله عن مسائل في الورع، والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه، وقال للشافعي رحمه الله يوماً: أي أفضل الصبر أو المحنة، أو التمكين؟ فقال الشافعي رحمه الله: التمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر، وإذا صبر مُكِّن، ألا ترى أن الله - عزَّ وجلَّ امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكَّنه، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكَّنه، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكَّنه، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكَّنه وآتاه ملكاً، والتمكين أفضل الدرجات.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مُكِّن، قال الله تعالى: (وَأَنبَيَاؤُهُ أَهْلُهُ وَمَثَلُهُمْ مَعَهُمْ) " (الشافعي، 2006، ص.ص 1075-1076)، فذوي الإعاقة هم أهل محنة وبلاء، وجب إكرامهم وإحسان معاملتهم وتوليتهم مكانة تليق بهم إذا لم تكن إعاقته ذهنية مانعة لذلك العمل، لعدم قدرتهم على ذلك، فالعدل معهم كما أسلفنا هو وضعهم في المكان المناسب لقدراتهم ونوع إعاقاتهم.

ولا شك اليوم بأن ذوي الإعاقة لهم حقوق، لكن ينبغي دائماً الحرص على تعليم هذه الحقوق لكل الناس، حتى يكون الناس على دراية في التعامل مع هذه الفئة واعتبارها لبنة أساسية في بناء المجتمع، لاسيما الطلبة أو الأساتذة الذين يطمحون لتقديم إنجازات، وكما سلف إن الشعور بالإعاقة قد يكون وقوداً لإنجازات عظيمة لم يقدر على تقديمها أصحاب العافية من بقية الناس، فيكفي توفير الإمكانيات، والوسط الملائم والدعم الاجتماعي، والنظرة التقديرية لهؤلاء لكي يكونوا قادة وعلماء ومعلمون ومربون ومخترعون، بل ويمكن القول إن هؤلاء يمكن أن يكونوا قوة مؤثرة في المجتمع إذا تم وضع البرامج و الإمكانيات التي تخدم قدراتهم وتعززها، بالإضافة إلى القوانين التي تمنع الإساءة إليهم بأي شكل من الأشكال.

قائمة المراجع:

- ابن الجوزي. (2001). زاد المسير في علم التفسير. بيروت. دار الكتاب العربي
- ابن القيم. (2003). الطب النبوي. الجزائر. دار الكتاب الحديث
- ابن حبان. (1988). الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. بيروت. مؤسسة الرسالة
- ابن كثير. (1998). تفسير القرآن العظيم. دار الكتب العلمية
- أبو داود. دت. سنن أبي داود. بيروت. المكتبة العصرية
- الألباني. (2011). صحيح الأذكار. الجزائر. دار الإمام مالك
- الألباني. (1995). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. الرياض. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع
- البخاري. (2001). صحيح البخاري. دار طوق النجاة
- الذهبي. (1985). سير أعلام النبلاء. مؤسسة الرسالة
- السعدي. (2000). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مؤسسة الرسالة
- الشافعي. (2006). تفسير الإمام الشافعي. المملكة العربية السعودية. دار التدمرية
- الصابوني. (1981). مختصر تفسير ابن كثير. بيروت. دار القرآن الكريم
- الطبراني. (1994). المعجم الكبير. القاهرة. مكتبة ابن تيمية
- الطبري. دت. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. مكة المكرمة. دار التربية والتراث
- القاري. (1993). تسلية الأعمى عن بلية العمى. المملكة العربية السعودية. دار البخاري
- مالك. (1985). موطأ الإمام مالك، بيروت. دار إحياء التراث العربي
- المقدسي. (2009). فتح الرحمن في تفسير القرآن. دار النوادر
- النسائي. (1986). المجتبى من السنن: السنن الصغرى للنسائي. حلب. مكتب المطبوعات الإسلامية
- الهنداوي والزعول. (2002). مبادئ أساسية في علم النفس. عمان. دار حنين للنشر والتوزيع
- APA. (2015). Dictionary of Psychology. American Psychological Association
- BUCKINGHAM, J. (2011). Writing histories of disability in India: Strategies of inclusion. Disability & Society, 26(4), 419–431. <https://doi.org/10.1080/09687599.2011.567792>
- CONRADIE, P. D., HERREGODTS, A.–L., De MAREZ, L., & SALDIEN, J. (2018). People with disabilities as product innovators: A pilot study. Disability and Rehabilitation. Assistive Technology, 13(8), 791–797. <https://doi.org/10.1080/17483107.2017.1381188>
- LANDIS, K. (2004). The Speech–Language Pathology Treatment Planner. John Wiley & Sons.
- Penrose, W. (2015). The Discourse of Disability in Ancient Greece. Classical World, 108(4), 499–523. <https://doi.org/10.1353/clw.2015.0068>

- ZHANG, Y., & Rosen, S. (2018). Confucian Philosophy and Contemporary Chinese Societal Attitudes toward People with Disabilities and Inclusive Education. *Educational Philosophy and Theory*, 50(12), 1113–1123. <https://doi.org/10.1080/00131857.2018.1434505>